فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ١٩ —

الشفة المقلوبة

كان لي في لندن صديق عرفتهُ لان زوجتهُ كانت رصيفة زوجتي في المدرسة وكان استاذاً في كلية القديس جورج واسمهُ هو يتني . وحدث ان قرأ يوماً عن فعل الافيون والحالة التي يشعر بها من يتعاطاهُ فاراد ان يختبر ذلك في نفسهِ فابتدأ بوضع بعض نقط لودنم على التبغ الذي يدخنهُ وما عتم ان الف هذه العادة ووجد كما وجد غيرهُ ان الدخول من باب هذه العادة يسير جدًّا ولكن الخروج عسير . وقضى سنوات عديدة مستعبداً لهذه العادة القتالة فكنت تراهُ في اكثر اوقاتهِ مصفرّ اللون مرخى الجفون وقد جثم على كرسيٍّ بحالةٍ مزرية لا نسبة بينها و بين حالتهِ الاولى الشريفة

وحدث ذات ليلة من شهر يونيو سنة ٨٩ انني عند ما دخلت لانام سمعت جرس الباب يقرع بعنف ثم سمعت باب المنزل قد فتح وتبودلت بعض كلمات تبعها وقع اقدام و بعد ذلك فُتح باب الغرفة ودخلت منهُ سيدة بلباس اسود وقد سدلت على وجهها نقاباً اسود فقالت ارجو المعذرة لقدومي في هذه الساعة المتأخرة . ثم وقع نظرها على زوجتي فاسرعت اليها وطوقت عنقها بذراعيها وهي تنتحب وقالت انني سيئة البخت يا عزيزتي وارجو مساعدتكم . فاستغربت زوجتي ذلك ورفعت نقاب المرأة فعرفتها انها صديقتها زوجة هو يتني فقالت لها ما بالكِ يا كتي فقد هالني امركِ .

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فاجابت انني يا عزيزتي في منتهى اليأس وقد اتيت اليكِ بل الى زوجكِ الدكتور وطسن راجية ارشادهُ ومساعدتهُ . وكانت قد سبقت فجآءت مراراً تستشيرني في امر زوجها وعادة الافيون فخطر لي انها انما قدمت الآن لمثل ذلك . اما هي فاردفت حديثها بقولها اتيت لاخبركم عن زوجي هويتني فانهُ غاب عن المنزل منذ يومين ولم يعد وانا في قلق عظيم وقد عرفت مؤخراً انهُ يختلف احياناً الى قهوة حشيش دنيئة في طرف البلدة ويعود منها منهوك القوى غائب الرشد . ولا يبعد ان يكون غيابهُ في ذلك المكان الملعون ولكني لا استطيع ان اذهب للبحث عنهُ في ذلك الجحيم وانتشلهُ من بين الاوباش المحيطين بهِ . وادركتُ للحال ما يجب ان افعلهُ وكنت في اثنآء معالجتي لهويتني قد اكتسبت بعض السطوة عليهِ فوعدتها ان اذهب بنفسي واركبهُ عربة توصلهُ الى بيتهِ . وبعد بضع دقائق كنت في عربةٍ اقلّتني الى المكان المذكور وانا لا اعلم ما ثمّ من امور الغيب . ولما بلغت القهوة امرت السائق ان ينتظرني ودخلت بعد صعودي في سلم صغير قد تكسرت درجاتهُ الحجرية الى دهليز منحدر اوصلني الى باب كهفٍ فتحتهُ فرأيت ورآءهُ غرفة واسعة ولكنها تكاد تكون مظلمة لما انتشر فيها من دخان الافيون والحشيش المتلبد في فضآئها فضلاً عن الرائحة القتالة المنبعثة منهُ . ولما أَلِفت عيني المنظر رأيت الاشخاص او بالحري الاشباح المتوسدين الارض ومناظرهم تقشعرّ لها الابدان فمنهم من فقدوا الحركة كالاموات وغيرهم لا يظهر من حركتهم الا تألق نار اللفائف وهم يمتصون سمها المحترق وبعضهم يتكلمون همساً بضع كلمات ويعودون الى سكوتهم . ورايت في اقصى الغرفة مستوقداً تشتعل فيهِ النار والى جانبهِ كرسي صغير عليهِ رجل طويل القامة رقيق الجسم قد اسند ذراعيهِ الى ركبتهِ ووجههُ الى راحتيهِ وهو يتأمل في النار . ثم جآءني فتى اسمر اللون هندي وفي يدهِ الغليون فقدمهُ لي واشار الى كرسي بجانبي فقلت لهُ اشكرك يا هذا ولكنني لم آتِ لاجلس بل لي صديق هنا يدعى هويتني اود ان اكلمهُ . فنظر الفتى الى يميني وسمعت من تلك الجهة حركة خفيفة فحولت نظري فرأيت هويتني بنفسهِ وهو اصفر اللون مهزول الجسم منفوش الشعر

وقد حدّق ببصرهِ اليَّ ثم قال آه يا الهي هذا وطسن • ثم اجتهد في لمّ نفسهِ وقال كم تبلغ الساعة الآن يا عزيزي وطسن • قلت انها الساعة الحادية عشرة . قال وما هو اليوم . قلت الجمعة ١٩ يونيو . فقال يا رباهُ انا اظنهُ الاربعآء بل اؤكد ان اليوم الاربعآء فلماذا تغشني وتخيفني . ثم ستر وجههُ براحتيهِ وجعل ينتحب . فقلت لهُ ان اليوم هو الجمعة كما اعلمتك وزوجتك في اشد القلق لغيابك هذين اليومين أفلا تخجل من نفسك يا هذا . قال بلى ولكنك واهم يا وطسن فانني لم ادخل الى هنا الا من حصة وجيزة ولم ادخن الا ثلاث او اربع لفائف ولكن على كل حال سأذهب معك لكي لا اقلق زوجتي . هات يدك . هل يوجد عربة . قلت نعم وهي بانتظارنا . قال لكن يجب ان ادفع ما يطلب مني وانا الآن لا اقدر ان اجمع فكري فهل لكَ يا عزيزي وطسن ان تسدد حسابي . فتركتهُ وسرت بين صفين من النيام وقد حبست نَفَسي تخلصاً من تلك الرائحة السامة . وكانت طريقي قرب المستوقد فلما بلغت الرجل الضعيف الجالس بجانبهِ شعرت انهُ جذب ثوبي وقال هامساً اذا تجاوزتني فانظر الى ورآئك • فاستغربت مخاطبتهُ لي بهذا الكلام والتفتُّ اليهِ وللحال كدت اصيح كمن مسهُ جنون لانني عند قدومي كنت رأيتهُ شيخاً مجعد الوجه اصفر اللون وقد تدلى غليون الحشيش بين رجليهِ كأن قواهُ لم تعد تستطيع حملهُ فلما كلمني رأيت نفس ذاك الشيخ قد عاد فتىً وعيناهُ الغائرتان قد عادتا الى لمعانهما الحادّ وذلك المجهول عندي قد صار اقرب الناس اليَّ واعزّهم وهو شرلوك هولمز . فاشار اليَّ ان اقترب منهُ ففعلت وقلت يا عزيزي شرلوك ماذا تفعل هنا . فقال اخفض صوتك واياك ان يلحظ احد بل اسرع وارسل صديقك الى بيتهِ وابعث بتذكرةٍ الى زوجتك كي لا تقلق لغيابك وانتظرني خارجاً فانني اتبعك بعد خمس دقائق وسأحتاج اليك الليلة . وكانت كلمات صديقي دائماً مختصرة واوامرهُ لا تحتمل المراجعة فاسرعت ودفعت حساب هويتني ثم قدتهُ الى العربة واوصيت السائق ان يوصلهُ الى منزلهِ وبعثت برسالة الى زوجتي اعلمها سبب غيابي . ولم انتظر الا قليلاً حتى رأيت ذلك الحشاش الهرم قد صار بجانبي فسرنا معاً حتى قطعنا

شارعين ولما بلغنا الشارع الثالث نفض عنهُ آثار الكبر وقوّم قامتهُ ونظر اليّ ضاحكاً وقال اظنك يا وطسن تعتقد انني الفت عادة الافيون فوق ما بي من العيوب . قلت الحق يقال ان وجودك في هذا الجحيم العالمي غريب . قال وقد استغربت انا ايضاً وجودك فيهِ . قلت اما انا فقد جئت للبحث عن صديق . قال وانا جئت للبحث عن عدوّ . اجل انهُ لعدوّ مخيف واعلم يا وطسن انني لو عُرفت داخل ذلك المكان لما بقيت حيًّا دقيقة واحدة ولكنهم مع مهارتهم لم يعرفوني مع اني دخلت المكان وخرجت منهُ مراراً . وقد علمت ان داخل تلك المغارة يتصل بباب سرّي يقود الى مينا القديس بولس وهو المكان الذي لو نطق لاخبرنا بتواريخ عجيبة . قلت وهل تعني الجثث التي كانت توجد طافية في ذلك المرفأ . قال نعم فانها كانت تصير جثثاً حال دخولها من تلك القهوة الى الباب السري الذي يقود الى حيث ترتكب افظع الجرائم ويغلب على ظني ان صديقنا نيقيل سانت كلار قد دخل من ذلك الباب ولكن يعود . اما نحن فبابنا السرّي هنا . ولما قال ذلك وضع اصابعهُ في فيهِ وصفر شديداً فعلمت ان تلك علامة متفق عليها وللحال سمعنا صفيراً نظيرهُ ثم صوت عجلات ووقع حوافر واذا بعربة قد صارت امامنا وانارت مصابيحها ظلمة الليل . فقال شرلوك هل لك ان ترافقني . قلت نعم اذا كنت نافعاً لك . قال الصديق الامين ومدوّن التاريخ ينفعني في كل حين وعندي في مدينة لي غرفة جميلة وسرير مزدوج ننام فيهِ معاً براحة . فقلت مستغرباً وهل انتقلت انت الى لي وتركت لندن . قال كلا بل انا هناك الى حين في منزل سانت كلار حيث اقوم بالتحقيق الحالي وهو على بعد سبعة اميال من هنا . ولكنك لا تعلم شيئاً عن ذلك فاصعد الى المركبة ثم صعد هو ايضاً وقال للخادم بعد ان نقدهُ قبضة من الدراهم انصرف يا جون فلا حاجة بنا اليك الليلة وقابلني غداً عند الساعة الحادية عشرة . ثم اخذ السوط فضرب جواد المركبة فاندفع بنا بين شوارع مقفرة ضيقة صارت تتسع في تقدمنا الى ان بلغنا الخلآء . وكان شرلوك صامتاً مفكراً ولعلمي باطوارهِ لم اكلمهُ قط مع اني كنت في منتهى الشوق لسماع حديثهِ وبعد ان اجتزنا عدة اميال انتفض فجأةً وهز كتفيهِ

ثم اشعل غليونهُ وقد دلت هيئتهُ على انهُ مسرور من نتيجةٍ وفق اليها . ثم قال لي ان لك يا وطسن موهبة صمت غريبة وقد اعجبتني بسكوتك هذه المسافة اما انا فكنت افكر في ماذا اقول الليلة لتلك الزوجة المسكينة عند ما تقابلني على الباب . قلت لا تنسَ انني لا اعلم شيئاً من ذلك . قال نعم وساخبرك فامامي معمًّى غريب ولديَّ مفاتيحهُ ولكنني لا استطيع القبض عليها وساتلو عليك الامر لعلك تنبهني الى ما يفيد فاسمع

انهُ في شهر مايو سنة ١٨٨٤ اتى الى مدينة لي رجل يدعى نيقيل سانت كلار وظهر عليهِ انهُ مثرٍ فاخذ قصراً كبيراً واصلحهُ وسكن فيهِ وعاش عيشة شريفة . ثم جعل يصاحب الجيران شيئاً فشيئاً الى سنة ٨٧ حين اقترن بابنة تاجر من تلك البلدة ورُزق منها ولدين . ولم يكن للرجل عمل خاص بل ظهر ان لهُ اسهماً في شركات عديدة وكان يذهب يوميًّا الى لندن في الصباح ويعود في قطار الساعة الخامسة . والرجل يبلغ السابعة والثلاثين من عمرهِ اما طباعهُ فحسنة وتصرفهُ في بيتهِ على غاية الاعتدال وهو محب لبنيهِ لطيف مع معارفهِ وليس عليهِ من الدين على ما علمنا حتى الآن الا مطاليب قليلة لا تتعدى ٨٨ ليرة ولهُ في البنك من الفوائض المستحقة التي لم يقبضها ٢٢٠ ليرة . وبناءً عليهِ فلا تكون علاقة للاسباب المالية فيما جرى . فلما كان يوم الاثنين الماضي ذهب الى لندن ابكر من العادة وقد قال ان لديهِ اشغالاً يودّ قضاءها ووعد انهُ سيحضر معهُ الى ابنهِ صندوق لُعَب . واتفق انهُ بعد سفر الرجل بقليل وصلت رسالة برقية الى زوجتهِ من وكيل شحن في مدينة لندن يقول فيها ان صندوق بضاعة ثمينة كانت قد طلبتها من الخارج وصل ويكلفها ان تحضر لاستلامهِ . فبعد ان تناولت الغداء ركبت القطار وتوجهت الى لندن فقضت بعض الاشغال ثم توجهت الى وكيل الشحن ومركزهُ في نفس الشارع الذي وجدتني فيهِ الليلة . ولما اتمت عملها قصدت المحطة ومرّت في الشارع المذكور في الساعة الرابعة والنصف . وقد كان يوم الاثنين الماضي يوماً حارًّا فكانت مسس سانت كلار تسير الهوينى وهي تنتظر ان تلتقي بعربة فارغة تقلها الى المحطة . وبينما

هي سائرة قرب المكان الذي التقينا فيهِ سمعت صراخاً فنظرت واذا زوجها يدعوها من نافذة في الطبقة الثانية في منزل على الشارع . وقد كانت النافذة مفتوحة ورأت وجههُ بوضوح وكما قالت انهُ كان في تهيج عظيم وكان يشير اليها بيدهِ بحركة جنونية ثم اختفى فجأةً من النافذة كأن احداً دفعهُ من الداخل . واعتقدت المسكينة انهُ لا بد من وجود خطر على زوجها فاسرعت الخطى وبلغت السلم لان البيت المذكور لم يكن الا قهوة الحشيش التي رأيتني فيها الليلة . فاجتازت المدخل الاول وعزمت ان تصعد في السلم المؤدية الى الطبقة العلوية فعرض لها رجل يدعى لاسكار ورفيق لهُ دنمركي الاصل فدفعاها الى الورآء وطرداها الى الشارع . فاسرعت كالمجنونة حتى بلغت شارع فرسنو فصادفت احد رجال الشحنة ومعهُ عدد من الشرطة فطلبت مساعدتهم . ولما علموا بامرها تبعها الشحني وشرطيان وحاول صاحب المنزل ان يمنع دخولهم ولكنهم تمكنوا من الدخول جبراً الى الغرفة التي كانت مسس كلار قد رأت زوجها فيها فلم يجدوا فيها سوى رجل مقعد تدل هيئتهُ على شرّهِ ولدى سؤالهِ اقسم هو ولاسكار المذكور انهما لم يريا سانت كلار في تلك الغرفة وانهُ لم يدخل اليها احد في ذلك النهار . واقتنع الشحني بكلامهما حتى انهُ عزم على الخروج معتقداً ان السيدة عرض لها ضرب من الوهم . ولكنهُ ما عتم ان رأى السيدة المذكورة قد وثبت الى صندوق على المائدة ففتحتهُ فاذا ضمنهُ اللُعب التي وعد زوجها ان يحضرها لابنهِ في المسآء . فكان ظهور هذا الصندوق مع مابدا على وجه الرجل المقعد من الارتباك مما جعل الشحني يعتقد ان في الامر سرًّا ذا بال فجعل يبحث في المنزل وكانت الدلائل تزداد على حدوث جناية فظيعة . وكانت الغرفة الاولى الامامية كغرفة استقبال ومنها باب يوصل الى غرفة صغيرة للنوم ولها نافذة تطل على النهر وبين هذه الغرفة والنهر علامة خشبية تجف عند جزر النهر وتبتل عند مدهِ الى علو اربع اقدام ونصف . وكانت نافذة غرفة النوم كبيرة وتفتح من اسفلها وعند البحث وجد الشحني آثار دم على خشب النافذة ثم قطرات دم اخرى متفرقة في ارض الغرفة . ثم عثر ورآء بعض الستائر على ثياب المستر نيقيل سانت كلار كلها حتى حذآئهِ وقبعتهِ وساعتهِ

ما عدا السترة فانها كانت مفقودة ولم يكن في ملابسهِ ما يدل على حصول عراك او عنف . وغير ذلك لم يوجد شيء من آثار المستر سانت كلار فيظهر انهُ رُمي بهِ من النافذة لانهُ لا مخرج سواها وقد ظهر من قطرات الدم ما يؤيد ذلك وان الرجل لم يكن في امكانهِ ان يخلص نفسهُ بالسباحة لان المدّ كان في معظم ارتفاعهِ وقت حصول تلك المأساة . اما الرجلان فظهر من انكارهما السابق ثم الادلة التي بدت ان لهما يداً في العمل . وكان لاسكار مشهوراً بسوء اعمالهِ ولكن تقرير مسس سانت كلار انها رأتهُ في اسفل السلم بعد ان رأت زوجها ببضع ثوانٍ يظهر انهُ ليس الفاعل بل المساعد . ولدى سؤالهِ عن الرجل المفقود اظهر تمام التجاهل وسئل عن الرجل المقعد الساكن عندهُ فقال انهُ ليس مسؤولاً عن اعمالهِ وانهُ لا يعلم ما يصنع لانهُ منفردٌ عنهُ في غرفتهِ . واما الثياب المخبوءة ورآء الستائر فلم يعلم عنها شيئاً

وكان الرجل المقعد يسكن في الطبقة الثانية من ذلك المنزل ولا شك انهُ هو آخر من رأى المستر سانت كلار ويدعى ذلك الرجل بون . اما هيئتهُ ففظيعة ووجههُ مخيف وهو مستعطٍ يخشى ان تقبض عليه الشرطة فكان يبيع علب الثقاب في الشوارع مستنداً على عكازهِ وكان مركزهُ على الغالب في منعطف في طرف الشارع حيث يجلس على مقعد حجري ويضع علب الثقاب امامهُ فلا يكاد يمر انسان من تلك الجهة الا ويراهُ فيتحنن عليهِ ويلقي في يدهِ شيئاً من النقود . وقد رأيتهُ مراراً عديدة في مروري من ذلك المكان قبل ان انتبه اليهِ او الى صناعتهِ ولكن من رآهُ مرة واحدة لا ينساهُ ابداً فشعرهُ برتقالي اللون ووجههُ مصفرّ فيهِ اثر جرح قد امتدّ الى شفتهِ العليا فانقلبت الى الاعلى ولهُ لحية عريضة وعينان سوداوان حادّتا النظر جدًّا يستغرَب وجودهما مع شعرهِ المحمرّ

ولنرجع الى حديثنا . فلما رأت مسس سانت كلار آثار الدم أُغمي عليها فامر الشرطي ان تنقل في عربة الى منزلها لان وجودها لا يفيد شيئاً في البحث . ثم عاد الشحني الى متابعة الفحص فلم يجد في المنزل ولا في جوارهِ ما يلقي اقل نور على هذه الغوامض غير انهم لما قبضوا على المقعد راوا على كم قميصهِ الايمن بعض نقط دم فاراهم اصبع

اليد الثانية مجروحة وقال ان الدم من هذا الجرح وانهُ توجه الى النافذة واستند اليها وما رأوهُ عليها وفي ارض الغرفة من الدم لم يكن الا من الجرح المذكور . وقد انكر بتاتاً انهُ يعرف سانت كلار كما انكر ما ذكرتهُ المرأة من انها رأت زوجها من النافذة . واما وجود ثياب الرجل في تلك الغرفة فسرٌّ لا يدركهُ اكثر مما يدركهُ رجال الشحنة

ولما نقلوهُ الى دار الشحنة بقي الشرطي ينتظر هبوط المياه وجزرها لعلهُ يكتشف شيئاً جديداً . فلما انتهى الجزر وجدوا على رمال النهر لكن لا جثة نيقيل سانت كلار بل سترتهُ المفقودة . واغرب من ذلك انهم عند ما فحصوها وجدوا في جيوبها مبلغاً من البنسات وانصاف البنسات ولما عدوها وجدوا مجموعها اربعمئة وواحداً وعشرين بنساً ومئتين وسبعين قطعة من انصاف البنس . فالظاهر ان المسكين التي في المآء عرياناً ولما علم المقعد ان زوجة سانت كلار ذهبت تستدعي الشرطة اراد التخلص من الثياب وعلم انهُ لو القاها الى النهر لا تغرق فعمد الى حيث خزن القطع التي يجمعها من بيع الثقاب فملأ جيوب السترة والقاها من النافذة وقبل ان يتمكن من عمل مثل ذلك بقية الثياب كانت الزوجة قد عادت برجال الشحنة . وعلى كلٍ يجب ان نفترض ذلك الى ان نرى وجهاً آخر . ولما أُخذ بون الى دار الشحنة لم يظهر ان لهُ اقل سابقة تشين سلوكهُ بل كان معروفاً من سنوات انهُ مستعطٍ يعيش من بيع الثقاب واحسان المارة وان عيشتهُ بسيطة هادئة . بقي علينا ان نعلم ماذا كان يفعل سانت كلار في ذلك المنزل وماذا جرى لهُ فيهِ واين هو الان واي علاقة بين اختفآئهِ والمقعد بون . حقًّا يا وطسن ان الحادثة في منتهى الغرابة ولم ارَ ما يضاهيها في جميع الحوادث التي بدأت ببساطة نظيرها

و بعد ان عاد شرلوك الى سكوتهِ والعربة تسرع بنا راينا عن بعد منزلاً فخماً وسط حديقة غنآء وراينا نوراً بين اشجارها فقال شرلوك هوذا منزل الرجل ولاشك ان تلك المرأة المسكينة قد سمعت صوت المركبة فهي بالانتظار. قلت ولمَ لم تشتغل بهذه القضية في منزلك بشارع باكر كعادتك وآثرت المجيء الى هنا . قال لانهُ لا بد من الحصول على بعض افادات هنا وقد سمحت لي السيدة مسس كلار

بغرفتين وكنت اودّ ان لا اواجهها الآن لانني لا استطيع ان افيدها شيئاً عن زوجها. وبلغت العربة المكان فوقفنا وجآء خادم اخذ الجواد فترجلنا واذا بالباب قد فتح وخرجت منهُ فتاة بيضآء اللون مرتدية ثوباً من الحرير الابيض اما جسمها وجمالها فمما لا استطيع ان افيهُ حق الوصف . ولما رأت شرلوك وبصحبتهِ شخص آخر ظنتهُ زوجها فهجمت كالمأخوذة ولكنها ماعتمت ان رأت خطأها فوقفت فجأةً وتنهدت تنهداً كسر قلبي . فقال شرلوك هذا صديقي الدكتور وطبسن فقد كان عضدي في عدة مسائل مهمة وقد ساقتني التقادير الى مقابلتهِ فاحضرتهُ معي لنتشارك في عملنا الحالي . ولما دخلنا وجلسنا نظرت السيدة الى شرلوك وقالت لهُ ما ورآءك . قال لا شيء . قالت لا تظن يا مولاي انني عصبية المزاج تؤثر فيَّ الاخبار مهما كانت ولذلك ارغب اليك ان تجيبني بمنتهى الصراحة كما تخاطب رجلاً نظيرك فهل تعتقد الاعتقاد التام ان زوجي نيقيل حيّ . ولما ظهرت على شرلوك علامات الارتباك ولم يجب قالت استحلفك بشرفك ان تتكلم بما يوحيهِ ضميرك . فقال اذاً اقول لكِ بكل حرية يا مولاتي انني لا اعتقد ذلك . قالت وهل تظن انهُ مات . قال هذا ما ارجحهُ . قالت وفي اي يوم كان موتهُ . قال يوم الاثنين . فجحظت عيناها وقالت اسألك اذاً ان تفسر لي كيف وصلتني هذه الرسالة منهُ اليوم . وما سمع شرلوك ذلك حتى وثب عن كرسيهِ كانهُ بفعل الكهر بآئية وقال ماذا تقولين . فتبسمت وقالت نعم في هذا النهار اوصل لي البريد منهُ هذه الرسالة وها هي . فاخذها شرلوك بلهفة في يدهِ ووقفتُ بجانبهِ فوجدنا الغلاف صفيقاً وعليهِ طابع بريد جرافساند وقد وُسم بتاريخ ذلك اليوم . وبعد ان قرأ شرلوك العنوان قال هذا الخط الغليظ ليس خط زوجك . قالت كلا بل الرسالة نفسها بخطهِ . قال ويظهر ان الذي ارسل الرسالة ذهب الى محل آخر ليكتب العنوان لان الاسم لا يزال حبرهُ اسود مما يدل على انهُ جفّ لنفسهِ مع ان بقية العنوان بحبر اقل سواداً مما يدل انهُ كتب ونشف بالورق النشاف . ثم نظر في الرسالة فقال وهل انتِ متحققة ان هذا هو خطهُ . قالت نعم . فقرأ شرلوك ما يأتي — « عزيزتي الوحيدة . لا يخيفك غيابي فالنهاية

حسنة . اما غيابي فلسوء فهم لا بد من اصلاحهِ قريباً فانتظري بصبر . نيقيل » — ثم قلَّب شرلوك الرسالة في يدهِ وقال الورق مقطوع من دفتر والكتابة بالقلم الرصاص وقد وُضع في البريد بتاريخ اليوم الذي نحن فيهِ فان كنت يا سيدتي متيقنة ان هذا الخط هو خط زوجك فهو حيٌّ يرزق ما لم يكن في الامر سرٌّ يفوق ادراك البشر . قالت انني شاعرة بانهُ لا يزال حيًّا . فقال شرلوك . قد علمنا مما مضى ان زوجكِ لم يقل شيئاً عن غيابهِ عند خروجهِ من البيت وانكِ نظرتهِ في النافذة وانهُ اشار بيدهِ ثم اختفى عنكِ وانهُ لم يعتد تدخين الافيون فما الذي اوصلهُ الى ذلك المنزل يا ترى. ولكن مهما يكن فلا بد لنا من ترك البحث في هذا الامر الى الغد

ثم قمنا لتناول العشآء و بعد ذلك دخلنا غرفة كبيرة فيها سريران فخلع شرلوك ثيابهُ وجلس على كرسيٍّ وقد وضع امامهُ كمية من التبغ فعلمت انهُ لن ينام في تلك الليلة كما هو شأنهُ اذا كان لديهِ معمًّى ولم يستطع حلهُ . اما انا فكان قد ادركني التعب والنعاس فنمت حالاً الى الصباح ولما استيقظت وجدتهُ لا يزال كما كان . فنظر اليَّ وقال هيا بنا يا وطسن و بينما ترتدي ثيابك اكون احضرت العربة بنفسي لان الخدم لم يستيقظوا بعد . فنظرت الى ساعتي واذا بها النصف بعد الرابعة . ولم اكد اتمُّ لبسي حتى عاد بالعربة وهو يتبسم وقد رأيتهُ مشرق الوجه بعكس ما كان عليهِ امس فقال ربما تعتقد يا وطسن انني قد فقدت عقلي اما انا فاظن انني تمكنت من كشف القناع عن هذا الحادث وقد وجدت برهاني في غرفة الحمّام وهو الآن في حقيبتي هذه . ولما قال ذلك خرجنا فركبنا العربة والهب ظهر الجواد بسوطهِ فجعل يعدو بنا بسرعة البرق وكان شرلوك يتبسم وهو يقول اجل قد كنت اعمى عن حقيقة واضحة فما احرى الانسان ان لا يهمل شيئاً مما يراهُ . ولم نزل سائرين حتى بلغنا لندن وتوجهنا توًّا الى دار الشحنة ولما دخلنا سأل شرلوك عن الضابط ولما عرف اسمهُ طلب مقابلتهُ فقابلهُ هذا بسرور وسألهُ عن حاجتهِ فقال شرلوك اتيت لاسألك عن المستعطي بون المتهم في قضية اختفآء المستر سانت كلار . فقال الضابط نعم قد حبسناهُ هنا لاتمام التحقيق وهو على ما يظهر رجل بسيط سكوت ولكنهُ قذر

للغاية قد تشمئزّ من منظرهِ وقد اجتهدنا كثيراً ان نحملهُ على غسل وجههِ و يديهِ فامتنع . فقال شرلوك كنت اود جدًّا ان اواجههُ . فقال الضابط لا اسهل من ذلك فدع حقيبتك هنا واتبعني . قال بل اوثر ان آخذها معي. ثم سار الضابط امامنا وتبعناهُ حتى بلغ غرفة السجين ففتح بابها ودخلنا فوجدنا الرجل نائماً . فقال الضابط ارايتم كم هو قذر حتى يكاد الوسخ يخفي لونهُ . فتبسم شرلوك وقال قد علمت هذا ولذلك احضرت لهُ في حقيبتي هذه ما يلزم لتنظيفهِ . ثم فتح الحقيبة واخرج منها اسفنجة كبيرة جدًّا فبلها بالماء واقترب امامنا من الرجل النائم و بخفةٍ زائدة مسح وجههُ بعنف ثم التفت الينا فقال يا عزيزي وطسن و يا حضرة الضابط اسمحا لي ان اقدم لكما المستر نيقيل سانت كلار

فلم اعجب في كل حياتي وما صادفني فيها كما عجبت عند ما رأيت ان ذاك المقعد السجين القذر الاسود اللون الاشقر الشعر قد تحول فجأةً تحت يد شرلوك هولمز الى رجل شريف الهيئة اسود الشعر ابيض الوجه وقد زال منهُ اثر الجرح وانقلاب الشفة . واستيقظ الرجل فنظر الينا مبهوتاً ولما رأى نفسهُ قد انكشفت هيئتهُ خرّ بوجههِ الى الارض وجعل ينتحب . فقال الضابط يا لله ان هذا هو بالحقيقة نفس الرجل المفقود كما تدل صورتهُ وقد قضيت سبعاً وعشرين سنة في خدمتي بين المسجونين فلم ارَ اغرب من هذا الامر . وهدّأ الرجل روعهُ فقال نعم انا هو نيقيل ولكن هل ارتكبت جرماً حتى تسجنوني . فقال شرلوك انك لم ترتكب جريمة ولكن كان يجب على الاقل ان تطلع زوجتك على سرك هذا . فقال الرجل بحزن لا تهمني زوجتي بقدر ما يهمني اولادي فانني لا اريد ان يخجلوا بابيهم فآه آه ماذا افعل الآن . فعمد شرلوك الى ملاطفتهِ وقال ان امرك اذا اتصل بالمحكمة لا يعود في امكانك تلافي الفضيحة ولكني انصح لك ان تطلعنا على سرك فاذا لم يكن فيه شيء يخالف العدالة فانا اضمن لك ان حضرة الضابط يكتمهُ . فقال نيقيل اشكرك يا مولاي فقد كنت افضل السجن بل الموت على ان اجعل سرّ حياتي لطخة سوداء في اعين اولادي واليكم قصتي

كان والدي استاذاً في مدرسة شسترفيلد حيث تربيت انا ولما شببت سافرت واشتغلت بالتمثيل في الملاعب ثم صرت منشئاً لجريدة . واراد يوماً صاحب الجريدة ان يكتب شيئاً عن المستعطين في العاصمة فتطوعتُ لذلك واردت ان اختبر بنفسي ما سأكتب عنهم وكنت قد اتقنت على ملعب التمثيل طريقة تغيير هيئتي بان اضع على رأسي وفرة من الشعر البرتقالي اللون واصبغ وجهي بلون قذِر واظهر فيهِ علامة الجرح وانقلاب الشفة العليا فكنت افعل ذلك واقف في نقطة من الشارع المأهول مدة سبع ساعات . ولما رجعت الى منزلي اول ليلة وجدت انني قد جمعت من الاستعطآء لا اقل من ستة وعشرين شلينا . ثم كتبت مقالتي الاولى في الجريدة فكان لها وقع عظيم .واتفق بعد ذلك ان ضمنتُ صديقاً على قيمة ٣٥ ليرة ولم يدفعها فطالبني الدائن ولم يكن عندي ما ادفع فحرت في امري ثم خطر لي امر الاستعطآء فطلبت من الدائن مهلة اسبوعين كنت في أثنآئهما ابدل هيئتي كما ذكر واستعطي فلم يمضِ عليَّ عشرة أيام حتى جمعت القيمة وسددت الحساب . أما دخلي من شغلي فلم يكن اكثر من ليرتين في الاسبوع فسئمت ذلك العمل ولا سيما عند ما رأيت انهُ يمكنني بالاستعطآء أن أربح مثل هذا المبلغ في يوم واحد بمجرد تغيير هيئتي قليلا . وقد نازعت ضميري كثيراً بين شرف نفسي وهذه الصناعة الدنيئة ولكن حب المال غلب اخيراً فتركت الجريدة وعمدت الى هذه الصناعة ولم يعلم احد قط بامري الا رجل يدعى لاسكار صاحب قهوة حشيش اجرني غرفة عندهُ . فكنت آتيهِ في الصباح واخرج من غرفتي عندهُ مستعطياً ثم اعود في المسآء فاغسل وجهي واعود الى حالتي وكنت ادفع لهُ اجرة كافية تضمن لي انهُ يحفظ سري . ومرت بي الايام وما اتظاهر بهِ من تلك الحالة يستدعي شفقة الناس عليَّ فتنهال عليَّ الصدقات وكان اقل معدل ما اجمعهُ سنوياً سبعمئة ليرة لانهُ لم يتفق ان اجمع يوماً اقل من ليرتين . وكنت كلما زادت ثروتي يزيد طمعي فابتعت منزلي الحالي وتزوجت ولم يسأل احدٌ عن مهنتي او عملي اما زوجتي فقد علمت أن شغلي في لندن ولم تعرف ما هو . ويوم الاثنين الماضي بعد ان فرغت من عمل النهار ذهبت الى غرفتي لأغير هيئة

الاستعطآء واعود الى منزلي ونظرت من النافذة فرأيت زوجتي فحملني الاستغراب على ان صحت صياح التعجب ورفعت ذراعيّ لاستر وجهي واسرعت الى داخل الغرفة وقد سألت لاسكار ان يمنع ايًّا كان من الدخول عليّ . ثم سمعت صوت زوجتي في اسفل السلم وخشيت ان تصعد فعدت الى زيّ الاستعطآء لاخفي هيأتي حتى على عين الزوجة . ولما خفت ان تنمّ ثيابي عليّ اخذت سترتي واسرعت الى النافذة ولمحاولتي فتحها بعنف علقت اصبعي في زجاجها فجرحت والقيت السترة الى النهر وكانت جيوبها ملأى بدخل نهاري فغرقت للحال . وكنت مزمعاً ان اتبعها بقية ثيابي غير انني سمعت وقع اقدام رجال الشحنة ولما دخلوا الغرفة فبدلاً ان يعرفوني مع زوجتي انني نيقيل سانت كلار قبضوا عليّ كقاتلهِ . هذا هو حديثي بتمامهِ . وكنت اود ان ابقى متخفياً ما امكن ولهذا السبب لم اقبل ان اغسل وجهي وادركت ان زوجتي ستكون في اشد القلق فكتبت اليها تذكرة وسلمتها الى لاسكار في ساعة لم يرني فيها السجان وامرتهُ ان يرسلها اليها

فقال شرلوك ولكن الاستعطآء ممنوع في بلادنا افلم يعلم الشرطة باستعطآئك . قال بلى وقد امسكوني مراراً وغرّموني ولكن ماذا تهمني تلك الغرامة اليسيرة بازآء دخلي الجزيل . فقال الضابط قد عرفنا القصة بتمامها الآن فاذا كنت تريد ان لا يشيع هذا الامر فعليك ان تقف عند هذا الحد وان لا يظهر بعد الآن المستعطي بون . وانا اعدك انني اطمس هذه القضية في سجلاتنا في الوقت الحاضر اما اذا عدت الى هذه الصناعة فاعلم انهُ لا يصعب عليّ فتح السجل القديم . فقال الرجل وهو لا يصدق بالخلاص والكتمان اقسم لكم يا سادتي باعز الايمان انني لن اعود الى مثل ذلك ابداً . فنهضنا وتركناهُ وخرج معنا الضابط مودعاً وهو يثني على براعة شرلوك وذكآئه